**الفن**

إن عمر الفن يوشك أن يكون هو عمر الإنسان، فالفن هو صورة من صور العمل، والعمل هو النشاط المميز للجنس البشري. فهو نشاط بشري يتميز بالقدرة والمهارة في إظهار الابداع وفي توليد الجمال.

إن أصول الفن إنما ترجع للسحر، فالفن هو أداة سحرية للسيطرة على دنيا واقعية لكنها لا تزال مجهولة. إن الفن لازم للانسان حتى يفهم العالم ويغيره، وهو لازم ايضاً بسبب هذا السحر الكامن فيه.

الإنسان إنما هو عقل ويد، واليد هي من أطلق عقل الإنسان وأنتجت الوعي الانساني. يقول جوردن تشايلد : « ان الناس يستطيعون أن يصنعوا الأدوات لأن أقدامهم الأمامية تحولت إلى أيدي، ولأنهم يستطيعون أن يحددوا المسافات بدقة تامة إذ ينظرون إلى الاشياء بعينين، ولأن لهم جهازاً عصبياً مرهفاً وعقلاً مركباً يمكنهم من التحكم في حركة اليد والذراع وتوجيه هذه الحركة وتصحيحها وفقاً لما تمليه الرؤية الدقيقة للعينين. لكن ليس هناك غريزة موروثة تمكن الناس من صنع الأدوات وإستخدامها، فذلك أمر ينبغي ان يتعلموه بخبرتهم - عن طريق التجربة والخطأ».

مثلاً كان شكل الفأس اليدوية التي توجد في الطبيعة من حين إلى آخر، من الاشكال التي يمكن إستخدامها في مجالات مختلفة من مجالات النشاط، فبدأ الإنسان بالتدريج ينقلها عن الطبيعة، وهو في صنعه للادوات بهذا الشكل لم يكن مستجيباً « لفكرة خلاقة» وإنما كان مقلداً فقط، وكانت النماذج التي ينقل عنها هي الأحجار التي عثر عليها من قبل وأختبر فائدتها بالتجربة. لقد أنتج الأدوات الجديدة على أساس من خبرته بالطبيعة، لا على أساس فكرة في ذهنه. وهو لم يكن ينفذ مشروعاً. بل كان يرى أمامه فأساً يدوية واقعية ويسعى إلى صنع غيرها على غرارها.إنه لم يكن ينفذ فكرة وإنما كان يقلد شيئاً. وهو لم يبتعد عن النموذج الطبيعي إلا ببطء وبالتدريج. فهو إذ يستخدم الأداة ولا يفتأ يجربها، يبدأ بالتدريج في جعلها أكثر فائدة وكفاية. فالكفاية أقدم من الغاية، واليد كانت أداة للاكتشاف قبل العقل.

صنع الإنسان أداة ثانية على غرار الأولى، وبذلك أنتج أداة جديدة لا تقل عن الأداة الأولى فائدة أو قيمة. وهكذا وجد أن المحاكاة تمنحه قوة إزاء الاشياء. فقطعة الحجر التي لم تكن لها فائدة تصبح لها قيمة عندما يمكن تشكيلها في صورة أداة، وبذلك تجند في خدمة الإنسان. وهناك شيء سحري في عملية « المحاكاة » هذه، إذ أنها تهيىء وسيلة السيطرة على الطبيعة.

إذن تعود بدايات الفن في الشرق الأدنى إلى العصور السحيقة. فقد نشأ الفن مدفوعاً برغبة الإنسان في التعبير عن عالمه بكل ما فيه من واقع وتصورات وخيالات ومخاوف وأحلام. صور الإنسان عالمه الاسطوري على جدران الكهوف، ثم أنشأ المعابد والصروح المعمارية، ليعبر عن رؤيته لعالمه الديني الاسطوري.

عموماً تعد البيئة الطبيعية في العراق القديم بعلاقاتها وتداخلاتها أحد العوامل المهيمنة الأساسية في تكييف السياقات التي تحكم الإبداعات الفنية للإنسان ونشاطاته المتنوعة والمتعددة المجالات ومن ضمنها الفعاليات الفنية. فالإنسان العراقي وليد البيئة ومقترن بها بصورة أساسية مؤثراً ومتأثراً بها. ويتعامل الفن مع مفردات بيئية يستدرج أشكالها ورموزها لايصال رؤى فكرية

اجتماعية. يستعيرها بعد أن يحولها إلى مدلولات جديدة ذات عمق مضاف بعد أن تتحول إلى أنساق شكلية في بنية الفن وهي بمثابة رؤية الفرد والمجتمع في تلك الفترة إلى الحياة والكون.

**الطقوس**

هي تعبير عن المعتقدات والسلوكيات التي تسمح بالاتصال بين الآلهة والناس.

والنشاطات الطقوسية، هي أفعال معيارية تنجز في أوقات منتظمة ويكون لها تأثير عاطفي على الناس. ولكن الطقوس في حقيقتها هي أحداث تاريخية، عملتها مجموعة من الناس في أوقات معينة وأماكن معينة (رغم إدعاؤهم أنها غير متغيرة وتظل قائمة طويلاً).

إن ما نسميه (فن) هو في الحقيقة متمم للطقوس في الشرق الأدنى. وإن الكثير من القطع التي ندرسها ونعتبرها اليوم ( فن) كانت تنتج في الزمن القديم لتستعمل كطقوس، مثل التماثيل النذرية. فقد نصبت في المعابد والبيوت لاستخدامات طقوسية، وكانت تحفظ وتصان وحتى تطعم عن طريق الفم. فالتمثال يعامل ككائن حي يطعم ويكسى ويعتنى به.

عموماً إن رغبات الإنسان في التعبير الفني ترتبط إرتباطاً وثيقاً بمعتقداته الدينية، لأن الفن في الشرق الأدنى القديم عامة لم يكن منفصلاً عن الدين وما كان من دونه ليحظى إلا بقليل من الأفكار الموحية.

**النحت**

يعد النحت من أهم الفنون التي مارسها العراقيون القدماء وأصدقها تعبيراً عن الأحاسيس الفنية والافكار والمعتقدات الدينية التي كانت سائدة آنذاك. ودراسة هذا النوع من الفن يعطينا فكرة عن مدى تطور الطرائق والأساليب الفنية المتبعة في النحت في بلاد الرافدين. وهو من أكثر الفنون التي خلفت لنا نماذج كثيرة، ومن مختلف العصور؛ نظراً لطبيعة المواد المستخدمة للنحت، وفي مقدمتها الحجارة المعروفة بمقاومتها الشديد لمختلف العوامل الطبيعة واحتفاظها بشكلها وهيئاتها الاصلية فترة زمنية طويلة.

ويمكن تعريف النحت بأنه فن إعادة التكون في مادة صلبة (حجر، برونز – عاج) بشكل منخفض أو مرتفع أو بزخرفته بزخارف بارزة أو غائرة. فهو فن يعبر عن فكرة من خلال معالجة كتلة من أية مادة «حجر، طين، خشب، معدن» وتحويرها إلى أشكال فنية بعملية الحذف أو الإضافة أو كلاهما معاً. فهو إذا عملية تجسيد كل ما يتركز من مشاهد فنية لدى فكر النحات واحساساته في تلك المادة المهيأة للتشكيل.

**هناك ثلاث أنواع من النحت** :

**١ـ النحت المجسم**

النحت المجسم أو النحت المستدير هو النحت الذي يمكن يراه الناظر من جميع الجهات. وهو عبارة عن كتلة تتكون من ثلاثة أبعاد، أي تظهر أشكاله بأبعاد ثلاثة؛ الطول، العرض، الإرتفاع. وفيه يتعامل الفنان مع كتل صلبة من الأحجار الطبيعية، فضلاً عن الخشب والمعدن والعظام والعاج والطين في تشكيل العديد من التماثيل الحيوانية والبشرية. ولكل مادة من هذه المواد

أهميتها الخاصة في كيفية التعامل معها. وهناك تعريف مجازي لفن النحت المجسم، بأنه عبارة عن أشكالاً خالدة من مواد خالدة، أو أنها تنظيم شكل الحجارة بحيث يصبح رمزاً للحياة.

**٢- النحت البارز**

يعد هذا النوع من النحت الأكثر استخداماً في جميع العصور، وقد خضع للقوانين نفسها التي خضع لها النحت المستدير أو المجسم الذي يشاهد من جميع الجهات بخلاف النقوش البارزة، التي يمكن أن نراها من جهة واحدة. وهو النحت الذي تظهر أشكاله بارزة عن الأرضية المستوية« الخلفية ». وفيه تؤشر أولاً الخطوط الخارجية للاشكال على الجدار الحجري أو على قطع العظام باستخدام قطعة حجرية مدببة النهاية أو إزميل معدني، ومن ثم تحضر هذه الخطوط حفراً غير عميق في معظم الأحيان. وقد أستطاع فنان النحت البارز على الرغم من قساوة وصلابة المواد التي ينفذ عليها أعماله. وبساطة الآلات والأدوات المستخدمة في التنفيذ من إنتاج أعمال رائعة.

**٣- النحت الغائر**

هو النحت الذي تكون أشكاله محفورة في الأرضية المستوية، كما في الأختام.

**الفخار**

الفخار هو كل جسم يصنع من الطين سواء أضيفت إليه مواد أخرى أم لم تضاف، فكل شكل فخاري يمر بمرحلة التشكيل، ثم التجفيف وأخيراً التقوية أو التصلب بالحرارة ، وهذه العملية الأخيرة هي التي تحول الطين إلى فخار. إن الاشكال المنفذة من الطين تصبح فخاراً، حينما تتعرض إلى درجات حرارة عالية تتراوح بين ٩٠٠-١٢٠٠ درجة مئوية، وعندما يتم طلائها بالألوان الزجاجية ووضعها في الأفران مرة أخرى، تتحول إلى خزف ( سيراميك).

كيميائياً يمكن تعريف الفخار بأنه: «إحداث رد فعل كيمياوي داخل الطين يحوّله إلى مادة صلبة لايمكن إلغاؤها بعد التأثير عليه بالنار، لطرد الرطوبة والماء المرتبِط كيمياوياً بالجزيئي، فينكسِر القيد الكيمياوي الذي يمسِك بالماء المتحد فيسمح له ذلك بالتحرر بعد مرور الطين بمراحِل للحرق تصِل إلى ٩٠٠مْ».

**الاساليب الفنية**

**١- الواقعية**

هي أسلوب فني يعتمد على التشخيصية الموجودة في عناصر الطبيعة. أي أن الفنان يعبر بالاسلوب التشخيصي في نقل الاشكال الموجودة في الطبيعة. ورغم أن الفنان الذي يرسم منظراً طبيعياً، يستفيد من قوانين الطبيعة التي اكتشفها علماء الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا. لكن ما يصوره في الفن ليس هو الطبيعة المستقلة عن شخصه، وإنما هو المنظر الطبيعي كما يبدو من خلال إحساساته،أي من خلال تجربته الخاصة.

فالفنان يقوم بنقل كل ماتراه أعيننا من مجسمات ومناظر طبيعية وحالات من الواقع نقل طبق الأصل، كالأدوات والأشخاص أو حتى الأزقة والشوارع. كما ترصد عين الكاميرا الفوتوغرافية اليوم واقع معين ما يخص المجتمع. وقد تدخلت عواطف وأحاسيس الفنان في رصد هذه الأعمال.

أعتقد أصحاب هذه المدرسة بضرورة معالجة الواقع برسم أشكال الواقع كما هي، وتسليط الأضواء على جوانب هامة يريد الفنان ايصالها للجمهور بأسلوب يسجل الواقع بدقائقه دون غرابة أو نفور.

عموماً تتميز الواقعية بجملة عناصر منها :

١- الإعتماد على النسب العامة للاجسام، لأن الفنان يستمد أشكاله من الطبيعة، ويعبر عنها تعبيراً واقعياً صادقاً.
٢- التأكيد على الخطوط الرئيسية « الخطوط الخارجية» للاشكال.
٣- الإهتمام بالتفاصيل الداخلية الدقيقة للاشكال.
٤- التركيز على الناحية التشريحية للأشكال سواء كانت بشرية، حيوانية، نباتية، جمادية.
٥- الإعتماد على الجمال الشكلي أكثر من الجمال الروحي.
٦- أن الأشكال في الفن الواقعي تعبر عن المظهر الذي يدل على الجوهر.
٧- تركز على جمال الطبيعة « إنسان، حيوان، نبات، جماد » لذا يركز الفنان على إختيار النموذج الأمثل كموضوع لعمله الفني.

**الإتجاهات الفنية للواقعية**

أ- **الواقعية الطبيعية** : يهدف هذا الاسلوب إلى محاكاة الاشكال المرئية بدقة متناهية، والمتمثلة بكل العناصر الموجودة في الطبيعة سواء كان إنساناً، حيواناً، نباتاً، أو جماداً.إن الواقعية الطبيعية تقدم الحقيقة كاملة، لأن مهمة الفنان تكمن في تسجيل الحقائق من خلال نقلها نقلاً حرفياً عن الواقع.

ب- **الواقعية التعبيرية** : يمتاز هذا الأسلوب بقوة التعبير أي القدرة على تحميل الجسم بالمعنى المطلوب التعبير عنه. وتتميز الواقعية التعبيرية باهتمامها الشديد بالانفعالات النفسية وتأثيرها على ملامح الوجه وحركة الجسم للاشكال البشرية والحيوانية.

**٢- التجريدية**

تقوم فلسفتها على إختزال الشكل وتشكيل الفكرة بدون توضيح الخطوط. فهي أسلوب فني يستند إلى تحوير الشكل المرئي من خلال عملية التبسيط والاختزال في التفاصيل من أجل إستخلاص جوهره، وصولاً إلى رموز إبتكارية تعبر عن الافكار والمعاني والاجابات.

والفن التجريدي فن يعتمد في الأداء على أشكال ونماذج مجردة تنأى عن مشابهة المشخصات والمرئيات في صورتها الطبيعية والواقعية. ويتميز الفن التجريدي بمقدرة وبقدرة الفنان على رسم الشكل الذي يتخيله سواء من الواقع أو الخيال في شكل جديد تماما قد يتشابه أو لا يتشابه مع الشكل الأصلي للرسم النهائي مع البعد عن الاشكال الهندسية.

**تتميز التجريدية بالسمات الآتية :**

أ-إهمال النسب العامة العامة للاجسام، لأن الفنان لا يعتمد على المظهر إنما على الجوهر.

ب- إعادة صياغة المظهر الطبيعي في خلاصات تهمل التفاصيل وتؤكد على الكليات، لأن الفنان لا يهتم بالجمال الشكلي وإنما بالجمال الطبيعي.

ت- عدم الالتزام بالشكل الواقعي، أي الابتعاد كلياً عن التشخيصية الموجودة في عناصر الطبيعة، لذلك اختفت الناحية التشريحية للاشكال المجردة عن حقيقيتها في الطبيعة.

**٣- الرمزية**

تعني فكرة يعبر عنها الفنان من خلال مجموعة من الرموز التي لها صلة بالطبيعة في شكل واحد، ليعبر عن مفهوم خاص بمعتقدات دينية أو سياسية.

ويستخدم الرمز لتمثيل الأشياء مثل الأفكار والمشاعر. ووظيفة الرمزية تكمن في التعرف على المعاني العميقة للحياة الباطنة، وللكشف عما وراء الظواهر الطبيعية، كما أنها تعبير عن دينامية كامنة بالأشياء تؤلف بين الشكل والمحتوى في تكامل جمالي.

وقد أبدع الفنان الرافديني أشكالاً لكائنات مركبة. بعد أن أخذ أجزاء من مخلوقات حقيقية وأعتمد على الجزء الذي يمثل عنصر قوة ذلك الكائن في الطبيعة، فقام بصياغة تلك الأجزاء من جديد وجمعها في شكل جديد خيالي يمثل المخلوق الاسطوري. تستمد مضامينه من الرمزية المتجسدة فيه، وبما يتلائم مع الأفكار والمعتقدات الدينية التي كانت سائدة في بلاد الرافدين. ففي الثيران المجنحة مثلاً استطاع الفنان وبمقدرته الفنية العالية أن يحقق الترابط بين الشكل والمضمون في تلك الكائنات المركبة. ولا نبالغ إذا قلنا أن الفنان الرافديني سبق فناني العصر الحديث بآلاف السنين، حينما أبدع هذا الأسلوب التأملي الذي سمي من قبل مؤرخي الفن الحديث بالفن السريالي.

لقد أضفى الفنان الرافديني على هذه الكائنات المركبة الروح والحياة الظاهرة، فمثلت بأروع المخلوقات في أجسادها وأجزائها وتفاصيلها وحركاتها، وكل شيء فيها رمز لعنصر من عناصر الحياة.

**٤- الفن التشكيلي**

هو كل شيء يؤخذ من حياتنا اليومية أو الواقع، ويتم صياغته بطريقة جديدة، أي يشكل تشكيلاً جديداً، وهو ما يطلق عليه بكلمة« تشكيل». والتشكيلي هوالفنان الباحث الذي يقوم بصياغة الأشكال آخذاً مفرداته من محيطه ولكل فنان أو إنسان رؤيته ونهجه الخاص. لذا تعددت المعالجات بهذه المواضيع ، مما إضطر الباحثون في مجالات العطاء الفني أن يضعوا هذه النتاجات تحت إطار واحد هو ( مدارس الفن التشكيلي).